بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء مفتوح مع العلاَّمة القرضاوي[1]

المقدم : أيها الإخوة : سيكون لقاؤنا الليلة لقاء مفتوحًا مع فضيلة الشيخ العلاَّمة الدكتور يوسف القرضاوي ، يجيب فيه فضيلته على الأسئلة الفقهية والفكرية ، وسيقدِّم الشيخ ـ إن شاء الله تعالى ـ كلمة يفتتح بها هذا اللقاء ، بما يفتح الله به عليه ، فليتفضَّل مشكورا .

الشيخ :

الصحوة الإسلامية والتحديات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومَن دعا بدعوته ، واهتدى بسنَّته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بجمعية الإصلاح ، بمملكة البحرين .

خير ما أحييكم به أيها الإخوة والأخوات ، تحيَّة الإسلام ، وتحيَّة الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد)

إني لسعيد أن ألتقي بكم في هذه الليلة الطيِّبة ، وفي هذه الأرض الطيِّبة ، وبهذه النوايا والبواعث الطيِّبة الخيِّرة ، التي جمعتنا على هذا الإسلام العظيم ، الذي أكرمنا الله به ، وحمَّلنا رسالته ، وأتَمَّ علينا به النعمة ، فقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾

(المائدة:٣) .

إننا نحمد الله تعالى أننا نعيش عصر الصحوة الإسلامية ، فقد عشنا في وقت من الأوقات ظنَّ فيه النَّاس أنَّ بساط الإسلام قد طُوِيَ ، وأن ظلَّه قد تقلَّص ، وأن أعلامه قد نُكِّست ، ضُربت فيه الحركات الإسلامية ضربات وحشيَّة متتابعة ، لا تكاد تُفيق من محنة إلا وأُدخلت في محنة أخرى ، يُصَبُّ على أبنائها فيها سياط العذاب ، كاد النَّاس يقولون : ذهب الإسلام !

إسرائيل أقامت لها دولة في قلب ديارنا ، في قلب أراضي العروبة والإسلام ، في أرض النبوات ، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين ، وكنا نقول عن هذه الدولة المغتَصِبة :

(إسرائيل المزعومة) . وظللنا سنوات نقول هذا ، وإذ بنا نرى إسرائيل المزعومة تلك ، تضرب هذه الجبهة ، وتصفع هذه الجبهة ، وتركل هذه الجبهة ، فاستحيينا ، وخجلنا من أنفسنا ، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين .

وظلَّ النَّاس يعتقدون أن إسرائيل هي الدولة التي لا تُقهر ، وما كان يُقال قديما عن التتار ، كاد يقال اليوم عن إسرائيل ، كانوا يقولون : إذا قيل لك أن التتار قد انهزموا فلا تصدق . ولكن الإسلام العظيم هزم التتار بعد سنتين من سقوط بغداد ، حيث سقطت بغداد سنة ٦٥٦هـ ، وبعد سقوطها بسنتين فقط ، استطاع الإسلام أن يجمع قُوَّته ، ويستعيد أبناؤه الثقة ، ويدخلوا مع التتار في معركة حاسمة هي معركة عين جالوت (٢٥ رمضان٦٥٨هـ) .

بل أكثر من ذلك أنَّ التتار بعد قليل تأثروا بالإسلام ، فإذا هم يعتنقونه اختيارا .

آثار الصحوة الإسلامية :

والآن بعد أن ظنَّ الناس الظنون ، نرى هذه الصحوة الإسلامية التي تصنع العجائب ، والتي نلمس آثارها في كلِّ مكان ، وأنا من النَّاس الذين زاروا كثيرا من البلاد ، في الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، رأيتُ آثار هذه الصحوة ، في

أوربا ، وفي أمريكا ، وفي كندا ، وفي بلاد الشرق الأقصى ، حيث يوجد المسلمون أكثرية ، وحيث يوجدون أقليَّة ، وحيث لا يمثلون إلا جالية نازحة ، وجدتُ الشباب المسلم المستمسِك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وجدتُ صوَّام الخميس والاثنين ، وجدتُ قوَّام الليل ، وجدتُ المستغفرين بالأسحار ، وجدتُ قرَّاء القرآن ودارسي الحديث ، وجدتُ الشباب المؤمن والشابات المؤمنات ، ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ** ﴾ (الفتح:٢٩). وجدتُ هؤلاء في كلِّ مكان ، بعد أنْ ظنَّ النَّاس الظنون!

الصحوة الإسلامية هي التي نرى آثارها اليوم في الأرض المحتلَّة ، تلك التي سمَّوها انتفاضة ، وقد ظلموها حين سمَّوها انتفاضة ، وهي أعمق من مُجرَّد انتفاضة ، وأوسع من مُجرَّد انتفاضة ، لأنها ليست حركة طارئة ، وإنما هي عملٌ جهاديٌّ دءوب صَبُور ، مُنطَلَقُه المساجد ، وأعلامُه المصاحف ، وهدفه تحرير الأرض ، وشعاره : (لا إله إلا الله والله أكبر) ، وهتافاته : ثورة ثورة على المحتَل ، غير المصحف ما في حَلْ .

تُؤذِّن المآذن في أرض فلسطين المحتلَّة : حيَّ على الجهاد ، حيَّ على الجهاد .

عادت قضية فلسطين إلى المساجد ، عادت إلى جذورها ، كما بدأها أمين الحسيني ، والقسَّام ، وغيرهما ، وهذه هي آثار الصحوة الإسلامية .

الصحوة الإسلامية التي نرى آثارها في أفغانستان ، في هذا الصُّمود العجيب الذي أرانا أناسًا كأنهم الصحابة من جديد .

هذا الشعب الذي يكاد يكون أُميًّا ، هؤلاء الفلاَّحون ، هؤلاء القبائل ، وسُكَّان الجبال يقاومون القوة الثانية في الأرض أحد العملاقين الكبيرين ، يقاومون الدبابات والصواريخ والأسلحة الإلكترونية ، ومعهم الله تعالى ، والإيمان في صدورهم ، ومعهم ما استطاعوا من قوَّة ، فالله لم يأمرنا في قرآنه بغير الاستعداد بما استطعنا من قوَّة ـ ولو كانت الحجارة ـ يقذف بها النساء والأطفال : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

(الأنفال: ٦٠).

هذه هي الصحوة التي أرعبتْ مَن أرعبتْ ، وأقلقتْ مَن أقلقتْ ، وبدأوا يقولون : احذروا التشدُّد الإسلامي ، التطرُّف الإسلامي ، التَّزمُّت الإسلامي ، يسمُّونه ما يسمُّونه ، وهم

يريدون ، أن يُرعبوا الحكّام والمسؤولين من هذه الصحوة ، مع أن هذه الصحوة تُمْسك هذه الأمة أن تنهار ، هي التي تحرِّك هذه الأمة ، هي التي تُنشئ البواعث التي لا بدَّ منها .

كلُّ الأمم تحتاج إلى أهداف كبيرة ، وإلى رسالة تعمل لها ، وتعيش تحت ظلالها ، وتتحرَّك تحت رايتها ، وليس لهذه الأمة رسالة غير رسالة الإسلام ، فكيف نستطيع أن نلحق بغيرنا ، ونحن متخلِّفون ؟ ! فالعالم يضعنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ في دائرة العالم الثالث ، وللأسف!

لقد عشنا ألف سنة ونحن العالم الأول ، قيادة الدنيا في أيدينا ، ثم صرنا عالما ثالثًا ، بل فينا بلادٌ لا تستحقُّ أن تكون عالما ثالثًا ، لو كان هناك عالمٌ رابع لنُسبت إليه ، ويُسمُّوننا : البلاد النامية ، وهو تعبير ملطَّف ، للبلاد المتخلِّفة ، نحن ـ للأسف ـ هذا وضعنا ، كيف نستطيع أن نلحق بالرَّكْب ؟ ! أن نعوِّض ما فات ؟ ! أن نعود كما كنا في بداية الرَّكْب ؟ !

بناء الإنسان من جديد :

ولن يكون هذا إلا ببناء الإنسان من جديد ، أن نُنْشِئ هذا الإنسان خَلْقًا آخر ، بدل أن يعيش للخمر واللهو ، والنساء والعبث ، وأكل أموال النَّاس بالباطل ، نُريد أن نُنشئ إنسانًا جديدًا ، له هدف ، له رسالة يحيا لها ، ويموت

عليها ، نريد صحابة جُددًا ، فمَن الذي صنع الصحابة ؟ أليس النبي محمد ﷺ ؟ الذي صبَّ في عروقهم دمًا جديدًا بالإيمان الجديد ، بالتوحيد ، برسالة الإسلام .

الصحابة كانوا أناسًا مثلنا ، لهم أعينٌ كأعيننا ، وأرجلٌ كأرجلنا ، وأيدٍ كأيدينا ، وآذانٌ كآذاننا ، ولكن ما نفترق فيه أنهم نشأوا في الجاهلية ، ونشأنا نحن في الإسلام ، الإسلام أخرجهم من الظلمات إلى النور ، أنشأهم إنشاءً جديدًا ، كوَّن منهم شخصية جديدة ، فعُمَرُ في الجاهلية غير عمر في الإسلام ، وخنساءُ الجاهلية غيرُ خنساءَ الإسلام .

فإذا كنَّا نريد لأمَّتنا أن تتبوَّأ مكانتها تحت الشمس من جديد ، لا بدَّ أن نبني الإنسان المسلم من جديد ، نبني عقيدته ، ونبني أخلاقه ، ونبني أفكاره ، ونبني شخصيته : الشخصية المتكاملة ، ولا يمكن أن نبنيها إلا بالإسلام ، والإسلام وحده . وهذا ما جرَّبناه .

فلن تستطيع أن تحرِّك سواكن هذه الأمة ، وتستثير القوى المبدعة والعاملة فيها ، إلا إذا قُدتها بلا إله إلا الله والله أكبر ، إذا رفعتَ أمامها المصحف ، إذا قُدتَّها بسم الله ، وجعلتَ إمامها وقائد زمامها محمدًا رسول الله . وبدون هذا لا يمكن أن تُحرِّك ساكنًا للأمة .

فالـذي يحـرِّك السـواكن ، ويزيـل الكـوامن ، ويصـنع الأعاجيب هو الإسلام .

وهذا ما بدأت الصحوة الإسلامية تَعِيهِ وتدركه ، وتصنعه وتقوم به ، إنها تأخذ الإنسان من الانحراف إلى الاستقامة ، من الضلالة إلى الهدى ، من الحانة إلى المسجد ، من الهزل إلى الجِد ، من لا شيء إلى كلِّ شيء .

هذه هي الصحوة التي نعيش لها وبها اليوم ، ونحن نحمد الله تعالى أننا بدأنا نعيش عصر الصحوة ، ونرجو الله تبارك وتعالى أن تستمرَّ هذه الصحوة ولا تميل يمينًا وشمالاً ، ولا ينحرف بها المنحرفون .

القُوى المتربصة بالصحوة :

أخشى على الصحوة من القوى المتربِّصة في كلِّ مكان ، وقد ذكر الكاتب المسلم اليَقِظ المعروف الأستاذ فهمي هويدي : أن هناك أكثر من مائة ندوة أُقيمت من أجل الصحوة الإسلامية ، تقيمها جهات معيَّنة في أمريكا وغيرها . ويقول هو : إني شاركتُ في عدد من هذه الندوات ، ولا أدري الجهات التي تخطِّط لهذه الندوات .

ولكن لماذا يحارب هؤلاء الصحوة ؟ ! إنهم يريدون أن تموت هذه الصحوة ، يريدون أن لا تعرف هدفها ، وأن تضلَّ طريقها ، وأن لا تصل إلى مُرادها ، ويجب أن نفوِّت عليهم هذا الغرض .

إني لا أخشى على الصحوة من أعدائها الخارجيين ، ولكني أخاف على الصحوة من أبنائها أنفسهم ، أن يشغل بعضُهم بعضًا ، وأن تتآكل الصحوة من الداخل قبل أن تُضرب من الخارج ، يجب أن يعرف أبناء الصحوة ماذا يريدون ؟

الاهتمام بالقضايا الكبرى :

يجب أن يهتمُّوا بالقضايا الكبرى ، يهتمُّوا بالكليَّات أكثر من اهتمامهم بالجزئيات ، يهتمُّوا بالأصول قبل الفروع ، بالجوهر قبل الشكل ، بالفرائض قبل النوافل ، بالكبائر قبل الصغائر ، بالمتَّفق عليه قبل المختلَف فيه . وهذا ما أريده من أبناء الصحوة ، ومن موجِّهي الصحوة ، ومرشديها .

إنَّ خصوم الإسلام ليسوا غافلين وليسوا لاعبين ، فهم يرصدون ويدرسون ، ويخطِّطون ويعملون ، ونحن في غفلة لاهون ، وفي غمرة ساهون .

موقف أعداء الإسلام من الإسلام المعتدل :

النغمة الجديدة التي أصبحوا يقولونها الآن في بعض